jadl@albiladdaily.com

يتم إرسال مقالات الكتاب على العنوان أعلاه

الذاكرة المثقوبة

أحمد المفتاح

ما معنى أن ننبش أرجاء الذاكرة المرة للبحث عن طيف من المجد والرفعة للنهوض من تلك الكبوة المقررة مثل بعض المناهج البالية .. أو التململ من ذلك المستنقع الآسن ..

تحدثنا النفس عن خطب عظيم حدث .. ثم تسلينا ذات النفس بسماع أغنيات الأحلام الوردية .. ونتصارع سوياً مع هذا وذاك في محاولة للتعايش .. أو الرفض دون عناء أو هجاء ..

إننا نعود ثانية وثالثة وعشرات المرات للبحث هذه المرة عن ذلك الخيط الموصل إلى تلك القضية الأزلية الضائعة داخل أروقة هؤلاء الخصماء الأقدمين .. أو أولئك اللاعبين بنا وبمصائرنا .. وبالوقت.. أرباب نزعات الصمت المريب..

نحاصر بالحقائق ويلاحقنا الظلام .. حتى لا يبقى لوجودنا وجود ..

قد نصاب قسراً باليأس ثم نحاول الهروب .. ولكن ما نتحرك إلا وتأتينا نوبات وإغماءات صداع متكرر..

ولا مناص .. من كل ذلك إلا إليه .. !!

تحوم علينا القضايا وتدور بنا في دائرة مفرغة مفزعة .. مغلقة .. ثم لا تتضمن إلا تلك المهاترات الزائفة .. والتي سبقها ذلك التزييف التاريخي الغارق في بطون القدم ..

هنالك من عمد إلى سياسة التكميم بعدما يُصيب من حوله بالخدر ..

عند ذلك .. تتعاقب الأيام بأفراحها وأتراحها .. ونعيش بها ومعها وسط الغيوم والقيود الغليظة.. بحثا عن نجاة..

تروي الأساطير "الحديثة" .. أن الحكاية بدأت ولا مازالت لم تنته .. وتشعب معها كل صراع وأنين حتى تناثر من بين أطرافها المهترئة كل الطغاة ..

وهكذا يسير السائرون في معين ظلالها سيراً إلى حيث السراب ..محاولين ومتلفتين للوصول إلى شيء ما .. أو إلى أي هدى يوصل لشاطئ الأمان .. ولكن ما زالت المحاولات جارية ..هنالك من ينتظر الصعود إلى نبض الحياة ..

وهناك من يركض إلى حيث ذلك المكان المشرق خلف الأستار الغليظة ..

وهناك من يتربع على ذاكرة الليل احتماءً بالقمر من الكوابيس ..وهناك من يسأل عن سبيل .. ولكن ما هي إلا عيون شاحبة حزينة وسط رمال الصحراء المتدثرة بلفيح الغبار ..لم يبق من الضمير الحي يوماً ما إلا عثرات الطريق والقصور المهدمة وأشباح البيوت وفوهات المدافع ..

وهناك في أقصى الأرض وسط طريق ضائع تحت سقف المبادرات والقرارات .. حتى الكلمات تغيرت ألفاظها وغدت تلقى بلغة غير مفهومة ..

إننا لا نريد منك أيها الوطن القابع وراء الأسوار إلا معذرة وسماحا .. في جو لم يُعد يُتنفس في كل أرجاءه إلا ذلك الغبار الكالح السواد برياحه السامة ..

كاريكاتير أعجبني

الإسلاموفوبيا .. صنيعة الضعفاء

د. نزار نبيل

لا يمكن لعاقل منصف حتى من الغربيين أن يصف الدين الإسلامي بأنه دين عدوان وعنف ، فما بين أيدينا من النصوص الإلهية والتوجيهات النبوية يمكن لها أن تفقأ عين أكبر دعاة مهاجمة الإسلام ومبغضيه ، بما حوته من شريعته العادلة من قيم العدل والسلم الاجتماعي والأمن الدولي على حد سواء ، وتسوّي ميزان العلاقات الدولية سلماً وحرباً بما يعزز الاستقرار والأمن العالمي .

مصطلح الإسلاموفوبيا أو الخوف من الإسلام ، هو رد فعل طبيعي من صناع القرار الغربي على حجم الانتشار السريع للدين الإسلامي الحنيف في أصقاع أوروبا وأمريكا ودول العالم ، وهو انطباع لدى الساسة المتطرفين في سدة الحكم في دول أوروبا بأن المهدد الحقيقي لمصالحهم هو انتشار دين العدل والمساواة ، بما يسحب من أيديهم خيارات المصالح التي يتعاملون بها .

وفق إحصائيات الاتحاد الأوروبي الصادرة حتى عام ٢٠١٢ م هناك أكثر من ٣٥٠٠ عمل عدائي شهدته أوروبا ، لم يثبت صلة أي مسلم بها إطلاقا ، بل كانت من صنيعة المافيات والمتطرفين من غير المسلمين ، وهذه إحصائية أوروبية خالصة .

ووفق أحداث النرويج التي شاهدنا بشاعتها وقسوتها ، نعرف حجم الكراهية الموجود لدى المتطرفين الغربيين ضد الإسلام ، حتى لو أدت هذه الكراهية لقتل مئات من الأبرياء الغربيين لإرسال رسالة كراهية بغيضة موقعة باسم متعصب أوروبي يخاف من نور الدين الإسلامي على أحلامه الشيطانية .

ولعل ما جرى في فرنسا أخيراً في أحداث الصحيفة الفرنسية وما تبعها ، يمثل صورة أخرى لتخويف الغربيين من خطر لا يمسّهم ، ويرسل رسالة تهديد للمسلمين في أوروبا : أنكم لن تعيشوا بأمن وسلام .

ما المطلوب إذا ؟

المطلوب هنا حملة مؤسساتية عربية إسلامية ، يكون روّادها الفنانون والمبدعون وعمالقة الفكر ومبادرو التشبيك المؤسسي ، لينسفوا هذه الأفكار بقوة طرحهم ،وبصلابة موقفهم الذي يرفض التعامل بوضع المتهم ، بل بوضع الواثق بنفسه ودينه وبما يملكه من حضارة حققت السلم والاستقرار.

علينا أن نطرق كل باب إعلامي ممكن ، وأن نتواصل مع كل مؤسسة أجنبية ، وأن نترجم كل بحث ودراسة ممكنة عن ديننا وثقافتنا وهويتها الحضارية للغات الغربية ، لنعلن للعالم من نحن ، وليتعرف العالم على مرتكبي الإرهاب الدولي وحماته في المجاميع الدولية بين الأمس واليوم، فهذه مسؤوليتنا الفردية والجماعية ، حتى نعيش باستقرار حقيقي نابع من اعتزازنا بذاتنا ومعرفتنا بالآخر وحقوقه وطبيعة تكوينه ومستويات التوجهات والميول لديه.

الارهاب ضربة قوية للأمن القومي العربي

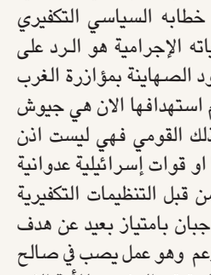

محمد جبر الريفي

ما يحدث في بعض البلدان العربية من صراعات سياسية مسلحة داخلية تأخذ صفة الاقتتال الدامي بين مكونات الشعب الواحد. .هذه الصراعات المسلحة التي لها طابعها المذهبي والطائفي والعرقي وزج موضوع الدين في هذه الصراعات التي تتمدد وتنتشر عبر تنظيمات إرهابية قوية بما تمتلكه من أسلحة متطورة وأموال. .كل هذا الذي يحدث في كثير من البلدان العربية له علاقة بمخطط خطير يدبر للوطن العربي بهدف تقسيمه أكثر مما هو مقسم الآن وذلك من أجل السيطرة على مقدراته واستمرار نهب موارده وثرواته وكذلك من أجل إبقاء شعوب المنطقة العربية وأنظمتها السياسية بصرف النظر عن اختلاف طبيعتها مشغولة بالصراع الداخلي بعيدة عن التنمية الاقتصادية والاجتماعية والتطور الحضاري القائم على التقدم العلمي وثورة التكنولوجيا وهي إنجازات لا يتم الوصول اليها إلا في ظروف السلم الاجتماعي وتحقيق الأمن والاستقرار .. وهكذا فإن هذه الصراعات المسلحة لها أهدافها السياسية والاقتصادية حتى تبقى المنطقة سوقا كبيرا مفتوحا للسلع الاستهلاكية التي تنتجها الدول الصناعية الرأسمالية الكبرى في العالم .إنها مؤامرة خطيرة بالفعل تقف من ورائها قوى لها مصلحتها في إشعال هذا الصراع الدامي الذي تجاوز الإطار الوطني والقومي والاجتماعي والديني فليس تغيير النظم السياسية والسعي لتحقيق الديموقراطية بهدف القضاء على ظاهرة الاستبداد والفساد السياسي التي انتشرت في العالم العربي يتم بهذه الطريقة المدمرة للحياة وللمجتمع والتي لم نشاهدها في دول كثيرة تغيرت فيها النظم السياسية وتداولت بها السلطة ..والسؤال الذي يجب طرحه : أي مكسب يعود للوطن باستهداف قواته المسلحة عنوان استقلال الوطن و التي من مهمتها الحفاظ على أمنه و على وحدته الوطنية وحماية حدوده من الغزو الخارجي ؟. وهذا ما يشكل في حد ذاته ضربة قوية للأمن القومي العربي مما يجعل البلدان العربية هدفا للإطماع الأجنبية ويلغي اي دور قومي فاعل في القضايا المصيرية العربية خاصة القضية الفلسطينية الذي لعب الإرهاب وقنواته الإعلامية الفضائية دورا سياسيا في تشويه عدالتها من خلال خطابه السياسي التكفيري الذي يقوم على الزعم بان من أهداف عملياته الإجرامية هو الرد على مظلمة الشعب الفلسطيني التي اقترفها اليهود الصهاينة بمؤازرة الغرب الاستعماري .نقول إن هذه الجيوش التي يتم استهدافها الان هي جيوش وطنية لم تقصر في أداء واجبها الامني وكذلك القومي فهي ليست اذن جيوشا استعمارية اجنبية غازية يجب قتالها او قوات إسرائيلية عدوانية وان استهداف أفراد هذه القوات العربية من قبل التنظيمات التكفيرية الإرهابية المتطرفة المسلحة هو عمل إرهابي جبان بامتياز بعيد عن هدف تغيير النظام السياسي لصالح الشعب كما تزعم وهو عمل يصب في صالح أعداء الامة خاصة الكيان الصهيوني العدو الحقيقي الرئيسي للأمة الذي يغتصب فلسطين ويحتل الجولان السوري وشبعا اللبنانية ويدنس جنوده و مستوطنوه باحات المسجد الأقصى المبارك وهو الأولى بأن تتوجه لهذا الكيان العدواني العنصري هذه العمليات العسكرية الإرهابية.

العداء العربي والعداء للأجنبي

علاء دنديس

بتحليل الواقع السياسي العربي المعاصر يتبادر إلى الأذهان طبيعة الخلفية الثقافية والفكرية التي صاغت أسس العقلية العربية، وذلك للارتباط الوثيق بين واقع أي أمة وتراثها الفكري والحضاري، إضافة إلى أن الصيرورة الثقافية التي شكلت المجتمعات مؤشر هام على مكانة الامة حضاريا.

وبدراسة نمط العلاقة السائدة بين مكونات المجتمع العربي يتم الكشف عما تشترك به الثقافة العربية مع غيرها من الشعوب وما تتفرد من خصوصية، كما أن التراث العربي في تاريخه الطويل سجل الكثير من الأحداث التي كشفت عن الصراعات الدموية القبلية والجهوية قبل الإسلام، وبعد ظهور الرسالة المحمدية وضعت ضوابط دينية وأخلاقية تنظم علاقة الناس بعضهم ببعض وفق قواعد وأحكام الشريعة الاسلامية، تخللها حالة من الاستقرار الداخلي استمرت حتى عهد ثالث الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان. ومع عصر التدوين الاسلامي كما يحدده الجابري بالقرن الثالث الهجري الذي بدأ معه تدوين الحديث والسنة النبوية وترجمة الفلسفة الاغريقية والعلوم الفارسية في بيت الحكمة وغيرها، بدأت مرحلة تكوين العقل العربي ووضعت مناهج الفكر العربي الاسلامي ضمن هذه البيئة التي شكلت حاضنة للعلوم المختلفة والمتنوعة بتنوع مناهلها الحضارية.

لا بد من استدعاء نماذج أخرى للمقارنة حتى يتم تحديد طبيعة العلاقة بين أفراد الجماعة الواحدة من حيث خصوصيتها لدى العرب أم هي علاقات موجودة عند الأمم الأخرى، لنجد أن العداء الداخلي موجود في ثقافات غالبية الامم ولكن بنسب متفاوتة، فقد سجل التاريخ حروب ومعارك دامية بين أبناء الجماعة الواحدة في الزمن البعيد و القريب عند غير العرب، فقائمة الحروب الاهلية الدامية تطول بطول السنين وعلى امتداد الحدود الجغرافية والسياسية في اليابان وانجلترا والصين والامريكيتين..الخ، اذ كانت أسبابها متنوعة بتنوع الاهداف والمصالح ولم يكن العداء العربي الداخلي وحده في المشهد العالمي، لكن مشهد الحراك العربي الأخير وبعد انتهاء العقد الاول من القرن الواحد والعشرين والذي إشترت شرارته بتونس الخضراء طاف على السطح الكثير من التساؤلات التي أعادت الثقافة والعقل العربي كقضية مركزية في طبيعة تكوين المشهد السياسي والاجتماعي العربي.

إن علاقة العرب الداخلية ببعضهم تحددها محددات تتعلق بمكونات المجتمعات العربية التي تشكلت عبر القرون الفائتة وأثرت في تكوينها أبعاد قبلية وطائفية وسياسية ودينية، ولعل تركيبة هذه المكونات تلعب دورا مركزيا في تحديد العلاقة داخل المجتمعات وتحدد أيضا الوسائل والأساليب المستخدمة في طريقة إدارة الصراع. فثقافة إقصاء الآخر وغياب الحوار سيطر على المشهد العربي وعلى سياسة بعض الأنظمة السياسية الحاكمة في المنطقة العربية ما بعد الإستعمار، فالقبيلة هي المصلحة لدى أبنائها بما توفره من حماية وامان، والطائفية تولدت عبر الزمن لتغلب مصالحها على مصلحة المجتمع بل إن مصلحة المجتمع ينظر لها من زاوية مصالحها مع استثناء الآخر، أما السياسة فلها بعدان، الأول داخلي من خلال إدارة المجتمع وفق ما يحقق مصلحة الفئة الحاكمة باستخدام ما ينفعها من التشرذمات الاجتماعية والشذرات الطائفية والمذهبية لتبقى على الحكم ،كما سعى البعض بعد حقبة الإستعمار وإلى اليوم بتفكيك أي حالة تجديد وحدوية تحسن وترفع من المستوى الحضاري للأوطان. والثاني خارجي له علاقة بما تركته دول الإستعمار خلفها لتحافظ على مصالحها ونفوذها في المنطقة، وهذا شكل محرك الشر الذي يحاول تفكيك ومحاربة أي فكرة وحدة عربية سابقا وحاضرا والتخطيط لإحباطها مستقبلا، بل وعلى تضخيم أي خلاف داخلي وتعنيفه من خلال مده بالسلاح والحفاظ على توازن القوى بين أطراف النزاع لكي لا يصل المتحاربون إلى مرحلة الحسم فيستمر القتال.

أنهك ذلك الخلاف بين مكونات المجتمع العربي الوطن العربي، بعد أن كان التعايش السلمي هو الغالب على المشهد في غالب الأزمان، لكنه ومع الحراك العربي الأخير ظهرت الخلافات والصدامات الدموية بشكل مريع، لتخرج عن كبتها الساكن منذ عقود وتأججت بفعل الفواعل السابق ذكرها، وأصبح الوطن العربي حلبة للصراع بين هذه المكونات دون رحمة، فمشهد الرقاب المتطايرة والقتل الجماعي يملأ الشاشات ومواقع التواصل الإجتماعي. وأصبح الوطن العربي مربعا ساخنا فدارت الدائرة على جميع مفاصله معلنة مرحلة اللاعودة التي إستبشر بها المتفائلون وتشائم بها الآخرون.

> علاقة العرب الداخلية ببعضهم تحددها محددات تتعلق بمكونات المجتمعات العربية التي تشكلت عبر القرون الفائتة

وما زال إحتدام الصراع بين الطوائف والأحزاب والأنظمة السياسية الحاكمة سيد الموقف مع مراعاة الفوارق في شكل الصراع من بلد لآخر، وإختلاف مستوى التدخل الأجنبي أيضا بالدعم والإسناد اللوجستي إنطلاقا من مصالحه في كل منطقة، وعلى هذا الحال تداعت ركائز بعض جوانب المجتمع العربي وأصبح يعاني من ضعف تأثيره السياسي وتراجع ملحوظ في معدلات نموه الإقتصادي، وخلل ضرب بناه الاجتماعية، مما ولد الشعور بالنقص والضعف لدى الإنسان العربي أمام الآخر الأجنبي، ووصوله إلى شبه قناعة تامة في عدم إمكانيته التغلب عليه والنظر لنفسه بدونية أمام تفوقه وتقدمه وعدم الإمكانية في منافسته على الحكم وبسط النفوذ الواسع، واللجوء إلى نفوذ أضيق يتناسب طرديا مع الإمكانات المتوفرة. وفي إتجاه آخر فإن التفاعل التاريخي بين مكونات المجتمع العربي خلف إرثا من الإشكالات المكبوتة التي يتم استدعائها وفق ما تقتضيه الحاجة وطبيعة الظروف والمستجدات، كما يحصل في العمل على تعبئة الشباب العربي حول قضايا عدائية تاريخية، فالجماعات التي تحمل لواء التطرف والعصبية كتنظيم داعش مثلا زرعت في عناصرها أفكارا بنيت على عداء قديم لا يستوي مع الحاضر بل تم إسقاط مفاهيم تاريخية وأحكام سابقة وتشويهها لتتحول إلى قوالب جاهزة تصقل فيها الشخصية العدوانية وتترك في غابة السلاح تنهش في لحوم البشر بغطاء ديني، فهي حالة أشبه بنبش القبور وإستحضار الثارات المدفونة بين المذاهب والطوائف، خدمة للمصالح السياسية والفئوية وتدميرا للقيم والإرث الحضاري الإنساني العربي الإسلامي.

فلسطين وأوروبا . . وظاهرة ما بعد التضامن

حسام شاكر

شهد تأييد قضية فلسطين في البيئة الأوروبية، تحوّلات متعددة منذ مطلع القرن العشرين. فبعد اندلاع "انتفاضة الأقصى" التي استغرقت عدّة أعوام، وتخللتها سلسلة من الأحداث التي لفتت الأنظار، برزت سلسلة من التطوّرات والتفاعلات في مشهد تأييد الحقوق الفلسطينية.

لم تعد فكرة التعاطف، أو حتى التضامن التقليدية، دقيقة منذ ذلك الحين في تعبيرها عن مشهد تأييد القضية الفلسطينية في أوروبا، فقد تم عمليا تجاوز مفهوم التضامن مع قضية فلسطين إلى مفهوم تبنّي قضية فلسطين وحملها مباشرة، وصولا إلى تطوير آليّات عمل جديدة وفعّالة تعبيرا عن ذلك.

يتأسّس مفهوم التبنّي على إدراك الانتهاك القيمي الجسيم المترتب على الاحتلال الإسرائيلي بما يجعل التصدّي له مسؤولية إنسانية مشتركة، فالناس بهذا المعنى تقف مع أنفسها وليس مع فلسطين فقط. وهكذا نشأت بواعث المبادرة بالتحرّك والتشكل والتكتّل حتى دون الارتباط بتحفيز فلسطيني مباشر أو غير مباشر إن تطلب الأمر.لقد برزت في هذا السياق ظاهرة التخصص في الأداء الجماهيري الأوروبي الداعم لقضية فلسطين، حتى نشأت جماعات القضية الفرعية الواحدة ضمن ملفات القضية الفلسطينية، وقد أعان ذلك على تجاوز الافتراق بين الأطياف الأيديولوجية الأوروبية إلى العمل التخصصي المشترك في ملف بعينه، كما انتقل الأداء من التركيز على إبراز التعاطف التقليدي إلى برامج العمل المبادرة والضاغطة التي تسعى للانتقال إلى خطوط الميدان الأولى، ولو بشكل رمزي.

وقد تطوّرت في غضون ذلك أطر من التعاون والتنسيق والشراكة والتحالف في مجالات مساندة قضية فلسطين، وكان لذلك أن يتفاعل مع تنامي اتجاهات التشبيك في العالمين الواقعي والافتراضي، وتعاظم خبرات المجتمع المدني وقدراته وأدواره.

وتراكمت في هذا السياق تجارب الوفود التضامنية مع فلسطين، ومجموعات المساعدة في قطاف الزيتون، وقوافل إسناد غزة المحاصَرة، بل أخذ هذا الجهد التضامني والإسنادي يركز ببراعة على صناعة الحدث من خلال مبادرات متجدّدة مثل "أسطول الحرية" الذي أبحر صوب فلسطين، ووفود "أهلا وسهلا في فلسطين" التي هبطت من الأجواء، وغيرها.

لقد اتضح خلال صيف ٢٠١٤ الذي تخلله عدوان حربي إسرائيلي على قطاع غزة، أنّ التفاعلات الشعبية والجماهيرية حول العالم مع القضية الفلسطينية قد جاءت أكثر تطوّرا من أي وقت مضى، وما أكسب هذه الجولة أهمية خاصة أنها مثّلت أطول عدوان حربي تقريباً في تاريخ القضية الفلسطينية وأشدّ الجولات ضراوة.

وتبيّن في غضون ذلك أنّ تحوّلات قد طرأت في العديد من المجتمعات، بعضها ظاهر فوق السطح، وقد يكون بعضها الآخر كامنا. وفي ثنايا هذه التطوّرات برزت أصوات وتشكيلات يهودية مناهضة للاحتلال وسياساته وانتهاكاته.

لا يمكن تنميط أوروبا والعالم في رقعة بعينها، فلكلّ بيئة خصائصها وسماتها في الإدراك ومسالكها في التفاعل، رغم بروز بعض السمات المشتركة العابرة للشعوب والمجتمعات والثقافات في زمن العولمة. لكنّ الملمح العام هو أنّ التفاعل الأوروبي والعالمي العابر للثقافات مع قضية فلسطين يشهد نموّاً واضحا.ولا ريب أنّ التفاعل مع فلسطين حول العالم يحوز خيارات متزايدة للمساهمة المباشرة وغير المباشرة في معادلة الصراع، وصناعة الأحداث المرتبطة به. يتصدّر ذلك الفعل الجماهيري والإعلامي، والضغط على مصالح الاحتلال الاقتصادية والسياسية والدبلوماسية والتعاقدية مع بلدان العالم والهيئات الإقليمية والدولية، وتصعيد الدعاوى والملاحقات القانونية لرموز الاحتلال الإسرائيلي ومنتسبيه وفق أنظمة الجزاء حول العالم.

لقد أظهرت الاستجابة الجماهيرية العارمة ضد عدوان ٢٠١٤، تحوّلات متعدّدة طرأت في أوساط المجتمعات الأوروبية في الموقف من الاحتلال الإسرائيلي وسياساته وانتهاكاته، بما يمنح الانطباع أنّ مناهضة الاحتلال وتأييد فلسطين قابل لأن يتحوّل إلى ثقافة عامّة. لقد تجلى ذلك في حجم التفاعل الجماهيري واتساع نطاقه والتطوّر النسبي في أشكاله التعبيرية، وتنسيق التحرّكات ونسج التحالفات في المجتمع المدني والميدان الجماهيري. وقد اتسم هذا التفاعل، في العموم وليس على الإطلاق، بالتنوّع في مكوّناته، وبانضمام فئات وشرائح متزايدة إليه في عدد من الدول الأوروبية والغربية.

> لا يمكن تنميط أوروبا والعالم في رقعة بعينها، فلكل بيئة خصائصها وسماتها في الإدراك ومسالكها في التفاعل

ومع الإمكانات المتنامية التي يحوزها التفاعل الشعبي والمدني حول العالم مع القضايا والتطوّرات، تتضاءل وطأة الرواية الإسرائيلية الكلاسيكية بشأن فلسطين، وتتوفر مزيد من خيارات المعرفة والمواكبة والمعايشة لهذه القضية كما لم يحصل من قبل؛ وهو ما يحفز التفاعل معها بكل تأكيد.يمضي هذا التفاعل إلى تجاوز المفهوم التقليدي للتعاطف، وصولا إلى خيارات "ما بعد التضامن"، التي تنتمي إلى فلسطين قيمياً وتتبنى قضيتها وتنخرط في مساراتها. وسيجد هذا التفاعل مزيدا من أدوات المبادرة والضغط تحت تصرّفه من واقع التطوّر المدني والتواصلي وخيارات التأثير والتشبيك المتنامية.

سيبقى التحوّل السياسي الأوروبي على الأرجح، بطيئاً في استجابته لهذه التطوّرات الجماهيرية والمدنية والنخبوية المتصاعدة، لانبثاقه عن تقديرات إستراتيجية يغلب عليها الثبات، ومنها الالتزام المعلن من قبل الدول الغربية بدعم الجانب الإسرائيلي وفق ما يُستدل عليه من مقولة "ضمان أمن إسرائيل" مثلا.

لكنّ المبادرات السياسية تبقى قادرة على إحداث إزاحات إذا ما فرضت ذاتها بقوّة الضغوط المتعاظمة، أو من خلال تعديل التقديرات الاستراتيجية المعتمدة. وقد يأتي ذلك وثيق الصلة بأزمة مشروع الاحتلال وضعف الثقة بخياراته الاستراتيجية بخصوص حلّ الصراع، وتصاعد التطرّف السياسي والقومي والديني في مجتمع الاحتلال، وانسداد آفاق التسوية السياسية الجادّة مع تعذر التوصّل إلى حلّ شامل ونهائي لقضية فلسطين.

إنّ القطاعات والفئات والتجمّعات التي كوّنت موقفاً متماسكاً في تأييد الحقوق الفلسطينية أو على الأقل في مناهضة الاحتلال الإسرائيلي وعدوانه وانتهاكاته، ستواصل على الأرجح تفاعلها وجهودها في مجالات المجتمع المدني المتعددة حول العالم مع تطوير متزايد في أشكال العمل وأنماطه، وفي صميم هذه القطاعات تأتي التجمعات الفلسطينية في أوروبا أيضاً. لكنّ القطاعات الجماهيرية الأعرض تبقى في تفاعلها مرتبطة بالوتيرة الموجية للأحداث على الأرض، خاصة في التطوّرات الصادمة والاستثنائية.

وبهذا تتأكد أهمية جعل القضية الفلسطينية حاضرة في صدارة الاهتمامات العامة سياسياً وإعلامياً، وهو ما يتيح فرص المواكبة والمعايشة والتفاعل. لكنّ صرف الأنظار بعيداً عن قضية فلسطين، بتأثير الشواغل المتعدّدة والتطوّرات الموضوعة في دائرة الضوء، يشكل تحدياً حقيقياً بالنسبة للتفاعل العريض مع قضية فلسطين وملفاتها وتطوّرات أحداثها.

يراهن الجانب الإسرائيلي على تعظيم المخاوف مما يسميه "الإرهاب الإسلامي" مستفيداً من تفاقم الأزمات والتوترات في العالم العربي والإسلامي، ويحاول وضع المقاومة الفلسطينية في سلة واحدة مع جماعات متشددة تمارس "استراتيجية التوحش"، فيدعو المسؤولون الإسرائيليون قادة أوروبا إلى النزول معهم في خندق الدفاع عن "أعداء الحضارة"، كما جرى في ظلال قضية "شارلي إيبدو". إنهم يسعون لتوظيف أجواء الحملة الواسعة ضد تنظيم "داعش"، بينما يسعون جاهدين لفرض نموذج "الدولة اليهودية" التي تفاقم الصفة العنصرية لنظام الاحتلال الذي يحتضن التطرّف المسلّح.

تنطوي تطوّرات العالم العربي والإسلامي على صعوبات متعددة، وربما مخاطر، في ما يتعلق بآفاق التفاعل مع فلسطين حول العالم. وستواصل دعاية الاحتلال توظيف هذه التطوّرات في وضع صورة النضال الفلسطيني ضمن سياقات التطرّف والإرهاب، دون أن يعني ذلك قدرتها على الإقناع.

رغم وفرة التحديات؛ إلا أنّ قضية فلسطين تستشرف جملة من الفرص في الفضاء العالمي، منها إمكانية تحوّل نبذ الاحتلال الإسرائيلي إلى ثقافة سائدة على نحو مطوّر من التجربة التي جرت مع نظام الفصل العنصري البائد في جنوب أفريقيا.